تجليات أدبية



لعنة سقطت من النافذة

محمود خير الله

أشعار

ميريت

لعنة
سقطت
من
النافذة

سلسلة تجليات أدبية

إشراف: سـيد خميس

لعنة سقطت من النافذة

شعر: **محمود خير الله**

المقاس : ١٣ × ١٩,٥ سم

الطبعة الأولى، ٢٠٠١

٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة
تليفون / فاكس: ٥٧٥١٥٠٠ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: merit56@hotmail.com

المدير العام: محمد هاشم

الغلاف والإشراف الفنى: أحمد اللبـّاد

رقم الإيداع ٢٢٠٨ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى 6 - 71 - 5938 - 977

أشعار

لعنة سقطت من النافذة

محمود خير الله



إهداء

ملابسها التى قطّعَتْها
لتكون ملابسَ داخليّة لى
بُلتُ فيها،
جرعةُ السُّم
التى أسقيتُها – طوال ثمانية وعشرين عاماً –
لم تُثْنها عنِّى،
يا أُمّى
ضعى هذه الجُمل على صدركِ
فلأسبابٍ كثيرة
أكره «الصّاغة».

يضــربُ.. كأنّــه يُغنّى

الحسرةُ التى
لاتُؤاخذ نفْسَها أبداً
تجئ على غير توقُّع،
تُبدِّل جلدها فى صورٍ كثيرة،
تظهر على حُمرة خَد
فيما شفاه تقبيل الخَدّ
تقف بعيداً دونما رغبة،
أحياناً تنتشرُ الحسرة
فى ساحة انتظار للسيارات
وتأخذ أسماء غريبة

«هيونداى» و «بيچو» و «كيابرايد»،
فيما ترتدى جلاليبَ قذارةٍ
بين قبور الموتى
فى واجب العزاء،
والحسرةُ مُلغِزَةٌ فى آخر كل شهر
كالجَبَانة التى تُريد
«لكنّه الحَبَل»

في حسرتى الأولى
وقفتُ أمام «مَمَح»
رفَعَ قبضةً قويّةً إلى الجدار
قابضاً ملابس طفلٍ أنا داخلها،
دَعَكَنى قليلاً بالحائط
فيما الناس يبتسمون،
رفعنى أثقالاً مُبدياً عضلةً
فصرخ طرباً مُناصروه المُطيعون،
صِرتُ أكره الجدران التى تضغطنى بقبضة «مَمَح»:

لايجب أن تطيعه هى الأُخرى
ليس إلهاً لتُطيعَه الجماداتُ والكائناتُ الحيّة،

ولأننى كرهتُ جدران البيوتِ القديمة
كثيراً ماسقطتُ خلفها،
سقطتُ ولم أعُد أعرف
متى تنتهى حَسَرَاتُ العالم،

أكتشفُ وقوفى أمامه .
كلّما ذهبتُ إلى المدرسة
كان أبوه "بائع بطاطا"
يُقدِّم "ثانى أكسيد الكربون" السّام
لعشراتِ التلاميذ

على أن يقبض قروشاً نظير ذلك،
وولده
يُثبِّتُ تلاميذ بصوتٍ جهوريٍّ،
أجرى إلى العَرَبة بآخر القروش
كى لا أفقد عظامى بعد قليلٍ
بين قبضته وجدران بيتٍ ما .

وفى البيت
تحت غطاءٍ مُتهالك لأمانٍ أسرىّ
وعبر نوافذ

أُراقب:
يتحرّك «ممَح» إذا بدأت مباراة كُرة
يضرب أفخاذاً
ويحرّك العالم بشهقةٍ من أنفه.

فى السابعة صباحاً
يزعقُ بسُبابٍ موجّهٍ لِلون أبى
«ياإسماعيل ياأَ سْ وَ د»
وأبى
عدّةُ آلهةٍ تمشى على قدميْن،

يقف حزيناً على «العَتَبة»
إذا سبَّه الصغار
ثم يردّ تحيات ذويهم
بفُصحاه التى تُدخل الجنة،
فُصحاه التى تلِّون الهواء الداخل والخارج بين شفتيه
بلون الأزهرىّ الذى كانه منذ عقود.

فيما الصغار اختفوا وراء البيوت الآن
يتردّد النداء:

«يا إسماعيل يا أَ سْ وَ د»،

«أن تلعب فوق "السطوح" هو أن تلعب وحيداً»
قالتها أُمّى وهى تُطعم الدجاجات

وسط مئاتٍ من «طوب أحمر»
مُعدّة للبناء،
قدَّمت لِطَيْفِ حبيبتى الأولى
بيتَ زوجيّة.

صانعاً مُستقبلاً أظافره نظيفة،
«السطوح»
هو السنوات التى عشتُها فوق الجميع
فيما يجرى «مَمَح» أمام مُطيعيه
لسنواتٍ طويلة،
كأمَّها كانت حبيبتى الأولى
بيضاء كنبيّةٍ
كلما ضايقها «مَمَح» وهى تعبر الشارع
أكون مختفيا وراء ثُقب

فرحاً لغياب قباحاته عنِّى.
الآن،
لم أعُد أرى وجه «مَمَح»
غابت حسرتى القديمة
ولم أعُد أفهم حسراتى الجديدة،
أطلق زوجُ أخته رصاصتيْن
واحدةً لها، والأُخرى لبائع البطاطا،

هو نفسه غاب
مع جنودٍ أشدّاء رَحَل إلى معسكرات الجحيم،

لكنّه عاد
كاشفاً فى الجسد
أكثر من مبرّر للهروب من المُعسكر:
سجحاتٌ،
إطفاءاتُ سجائر،
كسورُ عظام،

لم يتركوه ينعم بهروب مجنون
عادوا مُقتحمين الحمَّام،
تابعوه طويلاً

نَزَلَ بحراً وسَبَحَ
سَبَحوا
وهم الآن يتابعون سباحتهم خلف ظلٍّ
كان اسمه
أحمد «مَمَح».

يخرجون إلى الشوارع .. مُنكفئين

كل صباحٍ
يلومُ أصابعه التى
ألقت أقلاماً من شُرفة المدرسة
واقتنت المسامير،
ثم ظلّت تحملها إلى البنايات فى الأعالى،
فيما تهبط أصابعه فارغةً
لمنزل الزوجيّة،

كل صباحٍ
تطالبه الزوجة بالجنيهات الأربعة
فيصفعها نجّار البنايات
المتزوّج حديثاً من ابنة الخالة،
وبعد أن يهبط السُّلّم
ينسى كسور آخر السلالم
فيخرج للشارع مُنكفئاً
وتعيساً،
حدث هذا

فى تسعة أعوامٍ مَتَّصلة،
باستثناء أيام «الجُمعَ»
التى كان ينزل فيها
مُتباطئاً إلى مسجد الشارع
بطفله الأكبر
وساقيْن مُنهكتيْن جنسيّاً،

تسعة أعوامٍ
كانت مُقدّمةً ليموت وحيداً

رغم أنّه كان على الطريق
وعلى «درّاجة بخارية» لزميل عمل،
إلاّ أنَّ عربةً ضخمةً – وبعد أن صرخت–
ضربتهما بقسوة
كانا ذاهبين لُمتعة «الأفيون»

الآن..
أشلاء رجلين على جانبىْ الطريق
وكلٌ فى حقل «برسيم»

يرعى أعوامَه الثلاثين.
لم يعُد لهما
أن يصعدا بنايةً بمسامير أصابع،
صارت بنايتهما
رخيصةً،
وواطئةً
وبلا شبابيك.....،

الآن

كَبُر أبناؤهما بطريقةٍ ما

شرعوا فى إلقاء أشياء من شُرفةٍ ما،

وفى الطريق إلى بناية سوف تُبنى

صادَقُوا خشباً على هيئة ألواحٍ تسبح تحت الفجر

صادَقُوا فَرساً هزيلةً جرّحتها السياط

واشتركوا فى سَبِّ الأمّهات

قبل أن يخرجوا

مُنكَفِئين إلى الشوارع.

إلى تُراب العالم

َقلَّمَا أَنِسوا إلى الغُرَف الصغيرة
وقفوا أمام الباب
ردّوا تحيّات َمعْروقين
واستسلَموا،
قَنِطوا،
خرجوا إلى بّوابة الشارع
رسموا جميلاتٍ بدخان سجائر،
ورووا حكاياتٍ صغيرة

عن تعاسات تحرّكت من الشبابيك الواطئة
إلى غرف النوم المجاورة
لبنات الجيران،
رووا غراميّات شجاعة
عن عاهراتٍ يسحبن أطفالهُنّ
إلى غرف مراهقين
كشرطٍ للتّمَوْمُس،
صفّروا بألسنةٍ مَقْصُوصة
ألحانَ تعاساتٍ عاطفيّة،

كانوا عمّالاً فى البنايات
يرفعون أطناناً من الأسمنت والحِجَارة
ويعودون بجنيهات للمقهى
وقروشٍ للسُكّر والسجائر،

قَنِطوا
لأنّ صاحب العمل يدفعهم لقُنوطٍ دائم:

شاربه الضخم
أبناؤه النظيفون

زوجتُه البيضاء التى
أسموها «العَجيْن».

عضلاتهم وهى تصعد السلالم بالعبوّات
تفرُّ خارجةً
لتطلُبَ السماحة
فيما تصرخ أكتافُهم تحت أحمالٍ:
- لا مزيدَ لَدَيْنا ..
مثقالَ تشاؤمٍ ونصف يُعطيهم صاحب العمل
يُقَطِّب وهو يدفع

مُعتبراً أنه يدفع دَمَاً
حينما يدفع «فلوساً»،
ويسبّهم طوال النهار،
لذا قَنِطوا
خرجوا إلى بوّابة الشارع
آملين فى ردفيْن ناعميْن يهتزّان
وحينما وصلا
صرخ أحدهم:
«أعطونى واحداً فقط

سأشقّه بنفسى وأعمل
فى أىّ خرابةٍ مجاورة»

كانوا يائسين هذا المساء
تحرّكوا لشارع
نساؤه يُرضِعْنَ واقفاتٍ
أو نائماتٍ على «العَتَبات»
تمشّوا قليلاً
فوجدوا طفلاً يحاول قَضْم حلَمةٍ هزيلة،
«- نصوم مثلما يُقَالُ فى الجوامع»
قال أحدهم،
فصامُوا....

وصباح يوم عُطلة
كان يجب أن يُشتَرَى خبزٌ
وعلى البلاطات نامت الأرغفة،
بلّل صدرُ امرأةٍ حناجرَهم
ألقت ثدييْن عاريْين فى حملقَاتِهم،
وشرعت ترفع خبزها
خُبزُها رُفع
وخبزُهم سَقَط
هى امرأةٌ لحيمةٌ

وهُم مَحْضُ عظامٍ موثوقةٍ في البنايات،

عادوا،
وفى بيوتهم مَشَت أَجِنَّة
ممسوسةٌ بأصابعهم
ومرميّةٌ على البلاطات،
البلاطاتُ التى صعدت على أكتافهم للأعالى
تحمل أبناءهم الآن
إلى تُراب لعالم.

ابتَسَمَتْ لبرميـل نِفْـط

المسئول عن وقفتها
كُل هذه السنوات
«داخل برواز»
فى ١٩ شارع محمد عز العرب
أبوها،
سعى حثيثاً لأهل العريس
تودّدَ
تحايَلَ
مُتصوِّراً أنّه قنّاصٌ ماهر،

كان من المُمكن
أنْ يرحل العريس
ولايشترى فستاناً وردياً
ولاتقف هى أمام المُصوِّر العجوز
الذى استحثّها لتبتسم
وهى لاتعرف
أن ابتسامتها ستُجرِّح المطر
أمام عيون المّارة
فى شارع محمد عز العرب،
رغم أن حريقاً صغيراً
شبَّ فى بولاق
التهَمَ الفُستان الوردىّ،

ومياه تُرعة قذرة

حَرّكَتِ الحذاءَ اللاّمع

حتى استقرّ أسفل كوبرى «مُسْطُرُدْ»،

ابتسمَتْ للمصوِّر مُعتقدةً

أن العريس جاهز

والضيوف أغبياء

والأبَ قنّاصٌ ماهر
لعلها استيقظت الآن
وهى تقف أمام مصلحة الأحوال المدنيّة
أنها كانت تستطيع
أن تتزوّج حبيباً،
وأن تبتسم بسعادةٍ للمصوِّر العجوز
لكىْ يفرحَ مطرٌ
ظلّ يسّاقط أعواماً
فوق رؤوس المّارة
مجروحاً بابتسامتها.

تحتَ سماءٍ مريضةٍ

أَحبَبْتُهّن.. فَصِرْنَ أُمّهات

يذهبن للأسواق
ويُضَاجَعْن،
يُرضِعْنَ أطفالهُنّ
ويعملَن موظّفات،
صِرنَ كبيراتِ الأنوف ومحجّباتٍ
مُجّدفاتٍ بعنف إلى الحَرَمْلِك،
ناسياتٍ ذكرياتٍ بعيدة
ودمعاتٍ على قُمصانى الرَّخيصة،
حيث كُنّ آنساتٍ جداً
وأنوفهن صغيرة
....
ليتنى ما أحببتهنّ.

قاترينه

كلُّهن وَقَفْنَ أمام الزجاج وتحسَّسْن:
الحَاملُ
– بقِطَع العَرَق المُتسلِّلة تحت الجبهة –
تحسَّست انتفاخاً،
المرأةُ – التى خَلَعتْ نظارتها الشمسيّة –
تحسَّست مؤخرةً
الطفلةُ – بذبابٍ حول الوجه –
بأسنانها ضغطَتْ شَفَتَها السُّفلى.

الآن غَضِبـا

لم تَكْفِهُمَا ابتساماتُ العيون
طالبيْن،
لم يَكْفِهُمَا ماضَحِكَاه وسط الأهل
مخطوبيْن،
الآن فقط
قرَّرا أن يذوبا إلى الأبد كجسديْن،
....
....
....
مرّ وقت طويل
قبل أن يُغلِقَ أحدهما باباً ليُدخِّن
ويُغلِقَ الآخر باباً ليبكى.

٥
وِمبــــى

خرج مُحِبُّونَ من الحديقة
وجلسوا فى مطعمٍ لامع،
جاءتهم حَماماتٌ - آنسَتْهُم منذُ قليل-
مُقطَّعةً على أطباقٍ
ومُوَزَّعةً بدقّة،
الآن
وبعد سنواتٍ طويلة،
قُطِّعَتْ حبيباتهم
ووُزِّعت بِدِقّة،
على منازلِ تُجَّارٍ قُساةٍ
كانوا يعملون قديماً
فى مطعمٍ لامع.

نزهـــة

ركّبْنَا أجنحةً لدموعِنا
وطيَّرْناها بعيداً،
ربما هَبَطت – مرّة – فوق حيٍّ نظيف،
هناك
لن تجدَ ماتغسله
فالناس مُغتَسِلُون باستمرار
وأجسادُ نسائهم مدهونةٌ بالكريم،
كنّا أغبياء حين طيَّرْنا دموعاً
كانت مُتعَبَةً معنا
واستطاعت هناك أن تستريح.

عينُه التى تواطأت

جَرُّوه فى الصباح من عينيه
أخرجوهما من مِحْجريهما
واستخدموهما كعدستيْن،
بعد ثلاثين يوماً
حاسبوه على نصفِ أَجْرٍ
لأنَّ إحدى عينيه كانت مفقوءَةً.

صَهِ ياقروش

أحَدَها قال:
أشترى عُلبةَ سجائر،
آخرُ قال:
أشتَرِى كيس خُبز
قال ثالثها:
بوسْعِى أن أعودَ من حيث جئتُ
ففى الجيوب الخاويةِ
تُثرثرُ القروش القليلة بصوتٍ مسموع
فتسمعُ أذنُ اللِّص
وتعملُ يدُه.

عاش الهلالُ مع الصّليب

فى الشارع
تلاواتٌ وتراتيلُ،
فى الشارع
مواسيرُ مجارى،
وصباح كل «أحد»
وكل «جمعة»
تصبُّ المواسير ماءً
فى عرضِ الشارع،
فتكون البِرَكُ
على هيئة صِلْبَان وأهِلَّة.

مائدةُ الرَّحْمن

يبكون دائماً
فتنزل دموعٌ
يجب أن تنزلَ أعضاء،
يبكى رجل
فينزل ذراعُه
تبكى امرأةٌ
فينزل نهدُها،
طواحينك غافلةٌ أيَّتهُا الأرض.

سأقولها نيابةً عنكم

هُزِمْنَا تحتَ سماءِ اللّه
وبين حقولِ قمحِهم،
والجُّوع
يأكل مؤخِّراتِنا بِنَهَمٍ
الآن،
وفى كل مرّة تُقرأُ فيها هذه القصيدة.

تُسهِّل عليهنّ الأمور

استمرّت حديقة عامة
تستقبل الراغبين فى مُتعٍ مسروقة،
قُبلة سريعة
واحتضان عابر،
وفى الرابعة عصراً
تلفظُ الحديقة عشّاقها
إلى بيوت قذرة
وأمهاتٍ يسألن عن المواعيد
ولايُدرِكْن
أنّ الحديقة
تُؤجّل ضيق الفتيات
وتُساعدهن على الحياة
بأسئلةٍ خانقَةٍ
وبيوتٍ قذرة.

دمٌ ..نافورةُ مشاعِر

فى غرفة الصالون
مارسا حُبّاً عَجُولاً
فى بيت صديق من أُسرةٍ مُهاجرة
دَلَّك صدرَ حبيبته
دلّكَتْ قلبَ حبيبها
وحينما خَرَجَا
كان صدرُهَا قد تهدَّل
وبُقعُ دَمٍ
ظلّت تُحرّك مشاعر الضيوف
كلما عادت أُسْرَة مُهاجِرة.

أَرْضَعَتْهُ خيالاً

فى صباحٍ ما
استطاعت أن تُسافر خارج الغُرفة
اشترت خُضرَواتٍ رخيصة
وفاكهةً
وقطاراً صغيراً لطفلها،
طفلها،
استقلّ القطار نفسَه
ورَحَل،
هناك،
فى المدينة الكبيرة
تزوّج فى غرفةٍ صغيرة
مَنْ تستطيع
إذا ساعدتها الظروف
أن تسافر خارج الغُرفة
فى صباحٍ ما،
وتشترى قطاراتٍ صغيرة لدورةِ الزمن.

بين طاوِلَتيْن

«كانَ، وأذكرُ
ساعتَها، وقبلَ الثورة
فى ذلك الوقت، ومنذ رُبع قرن
أيّام الملك، وقبل رحيل الإنجليز..»
هذا كل مايملك الجالسون بجوارى
شعيراتٌ بيضاء تحتاجُ خلَلاً تاريخياً
ليفهمَها النّاس،
تحتاجُ رائحةً قديمةً

و «بارفانات»
غيّرت طعمَ الهواء فى حفلات «أم كلثوم»
وأزياءَ رجاليّةً
تربطها بخُطب «جمال عبدالناصر»
أربطةٌ قوية،
الشعيراتُ البيضاء
ذهبت إلى «بيروت» و «فلسطين»
أَمضْى أصحابها شهور عسلهم

فوق «جبل الدروز»
أو تحت «ظلال الزَّيْزَفون»
ظهرت الندوبُ فى وجوهِهِم
انفعالاً بجيش الثورة
أو تلبيةً لصراخ النكسة،
الجالسون بجوارى
لم يجيئوا مثلى
هَرَباً من عاصفةٍ تُرابيّة

ابتسموا فقط ووضعوا نِقَاطاً فوق الحُروف،
أَخلَصُوا لنعيمٍ زائلٍ
وكانوا على الأقلِ أوفياء.

رقصةُ مُدرِّس صارعَتهُ النظافة

فى الطريق إلى شارعٍ جانبىّ
قرّر الزواج
وابنة الجيران بيضاء كإخوتها
ونقيّةٌ ككتاب القراءة
وهى،
مُربّية دجاجٍ فاضلة
ستقدّم للإله صلاته
وللطيور طعامها،

ابنة الجيران
ستربِّى رجالاً يشبهونها
وإن كانت بلا مؤهَّلٍ
فأبوها مؤهَّلٌ عظيم
وشعرها الطويل مؤهل بلاشك.

لذا....

قرّر المدرس الزواج

ليُحَسّن السُلالة،

وذكّر نفسه:

ستكون أُمّاً رقيقة

سأكون أباً جَهْماً،

أوبِّخ وقتما يجب أن أُلاطف

أضرب بالحذاء وقتما يجب الصَّفع،

يُمَنِّى نفسه إذَنْ

بأبناء يحفظون كلام الله
عن ظهر قلب
ويشربون مبادئه
أثناء جلوسهم على «الغداء»
يُريد أن يصحو فى صباحٍ مُناسب
ليس فيه والده الفَظُّ
وطعام أمه البارد،
يُمنِّى نفسه
بحديقة كبيرة

يزرعها أطفالٌ بررة
لامتصاص سموم العالم
التى تُميتُ القلب،
أحب أصدقاءه وهم يُباركون العُرس
أحبّهم حتى وهم يردّدون:
«العريس وَصَلْ»
لاحَقُوه بهذا النِّداء
كلّما رأوه خارجاً من منزل الزوجيّة،

وبعد أن خَلَّفَ أطفالاً كثيرين
وبنى بيتاً كبيراً،
كانوا يرددون: «العريس وَصَلَ»

أحفاده جاءوا أخيراً
حاملين متاعبهم إليه
وهو العجوز ذو النظافة،
كان يمسح زجاجة «الكولا» بمنديلٍ عريض،
ويمسح كرسيّ القطار بقُماشة صفراء.

هَروَلَت النظافةُ خَلْفهَ

جلسَتْ معه «على المعاش»،

تقطَّعتْ أنفاسـهُا من ثقل خطواته

وبعد أن هَرِمَ

انتفضتْ،

أسنانه التى حَكّها بعددٍ لايُحصَى من «الفُرَش»

تساقطتْ،

فمه الذى ظلّ ينطق بانتظام
فكّه الشَّلَل،
ملابسه التى غُسِلَت ملايين المرّات
تلطّخَتْ،
حتى كتبه النظيفة
لاحقها تُراب كلام،
وفى رأسه تمرَّدَ النظام
أهلُه الموتى ناداهم طويلاً،
ثم أغمض عينيْن غائمتيْن لمدرسٍ عجوز،
بعد خمسة أعوامٍ وشهرين وستة أيامٍ فقط

من أزمةٍ قلبيّة،
كانت كافيةً ليهرُب المعلّم المثالى
من حديقة بيته
إلى المقابر،

لم يَعُدْ أولاده صغاراً فى الحديقة
تمرّدوا عليها وأسلموها لبائعٍ جائلٍ،
تزوّجوا وأنجبوا طيوراً مُحلّقةً،

بعضهم خَطّطَ منزله الصغير
دونما حديقة،
واحدٌ فقط ظلّ يزرع الكلمات السوداء بإتقانٍ
ليُنبِتَ قصيدةً
عمرها سبعةٌ وستون عاماً
من النظافة.

لعنـــةٌ سقَطَـتْ من النَّافِـذَة

تجليات أدبية

ركَّبْنا أجنحةً لدموعنا

وطيَّرْناها بعيداً،

ربما هَبَطت ـ مرّة ـ فوق حيٍّ نظيف،

هناك

لن تجدَ ما تغسله

فالناس مُغتَسِلُون باستمرار

وأجسادُ نسائهم مدهونةٌ بالكريم،

كنّا أغبياء حين طيَّرْنا دموعاً

كانت مُتعَبَةً معنا

واستطاعت هناك أن تستريح

